وسائل مواجهة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

الإلحاد شيء غريب وغير مقبول في المجتمعات الإسلامية، ربما يقول قائل: الملاحدة في المجتمع المسلم قليل، فلماذا هذا التضخيم في حجم هذه الظاهرة الغريبة والقليلة التواجد في المجتمع المسلم، ولماذا يُطرح هذا الموضوع أصلًا؟

والجواب لهذا القائل ما الذي يدريك أن الإلحاد قليل؟ ومن أين لك بهذا الحكم؟ بل لعل الواقع مع انتشار القنوات الفضائية الإباحية أسوأ مما نتوهم بكثير، وإذا سلمنا بمقولة أن الإلحاد قليل فهل من الحكمة أن نتجاهل هذا القليل إلى أن يكثر وأن نعرض عن الكلام عنه؟!

وهل من الحكمة والعقل إذا ما اكتشف في بلد وباء يهلك الحرث والنسل ويخشى من انتشاره وأن الحالات المسجلة كانت ليست إلا حالة أو اثنتين؟ فهل من العقل والحكمة أن نعرض عن هذا الشأن بالكلية لأن المصابين قليل أم أن من الحكمة والعقل أن نستنفر جميع القوى وجميع الإمكانات لدفع هذا الوباء؟

فما بالكم إن كان هذا الوباء هو آفة العصر!! إنه الإلحاد، وإذا كانت المواجهة والمقاومة واجبة في أوبئة الدنيا فما الحال مع أعظم وباء؟ وباء جحد الخالق تبارك وتعالى والكفر بوجوده وبرسالاته وأنبيائه، والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن هذا الوباء يصيب كل المجتمعات بلا استثناء الشرقي والغربي على حد سواء، وإن سلم منه مجتمع فإن كثيرًا من المجتمعات قد يقع تحت وطأته.

• إذن فالطرح مفيد، ولا بد لهذا ولذاك المبحث من العلاج والوقاية منه في آن واحد، والسعيد مَنْ وُعظ بغيره.

• إن رسائل مواجهة الإلحاد كثيرة ولكن يجب أولًا أن نعي أنه لن يحدث انحراف في الغالب لشبابنا الذي تربى على الإيمان ولن يستطيع الملاحدة أن يجروا شبابنا إلى قذارة الإلحاد إلا إذا حدث تقصير منا بوجه أو بآخر من ذوي المسئولية التربوية والعلمية والدعوية كالأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والموجهين والدعاة ... إلخ.

والغالب أن استشعار طلاب العلم والقادة والموجهين بهذه المسئولية سيؤدي بتوفيق الله إلى نشاط واجتهاد في الوقوف أمام هذا المهد الإلحادي المدعم من الماسونية والصهيونية العالمية، ويمكن إيجاز سبل المواجهة في نقطتين هامتين هما الوقاية، والعلاج.

• أما سُبل الوقاية فإنها تهدف إلى بذل الأسباب التي تحول وبتوفيق من الله عز وجل ما بين الشباب وبين الوقوع في براثن الإلحاد وهذه السُّبل يمكن إيجازها في الآتي:

١ – العكوف على كتاب الله، تلاوة وتدبرًا.

٢ – السعي في الوصول إلى تذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته من خلال التأمل في صفات الله جل وعلا، ومن خلال التأمل في صفات الله وتذوق طعم الإيمان لا يكون هناك مجالًا لتذوق أي طعم آخر.

٣ – غرس العقيدة الصحيحة في النفوس منذ نعومة أظافر أبناءنا وبكل الوسائل الممكنة – كالدروس، المحاضرات، والخطب، والبرامج، والمناهج، وكل الطرق ولا سيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها وبتوفيق من الله إلى تفكيك الفكر الإلحادي كالإيمان بالغيب والإيمان بالقدر واعتقاد الحكمة في أفعال الله مع بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الإلحاد وخطره والعلاقة بين العقل والنقل.

٤ – تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية واليقين بأن

الله مع المؤمنين يمدهم بعونه وتوفيقه وأن منقلب المؤمنين بالله الواحد القهار هو في الآخرة إلى جنات النعيم حيث غاية لذتهم في رؤية البر الرحيم سبحانه وتعالى.

٥ – الترشيد الثقافي بملاحظة التلقي: مصادره التي يستقي منها الشباب أفكارهم وخاصة ما هو مبثوث عبر الفضائيات، وفيما يقرأون وفيما يتابعون من مواقع ولا يترك لهم الحبل على الغارب، وإن من أعظم الأخطار علينا أن يسمح للناشئ أن يبحر في شبكة الإنترنت كيفما يشاء دون رقيب أو حسيب، ولن نصل إلى تحقيق الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلا إذا وصلت العلاقة ما بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه إلى مرحلة الصداقة بحيث يكون الصدر مفتوحًا أمام هؤلاء الشباب ليبثوا الشبهة التي يتعرضون لها والأسئلة التي تحيرهم وأن يجدوا الإجابات عندنا بدلًا من البحث عن أجوبتها في جحور الحيات والعقارب من الملحدين.

٦ – تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات وذلك – بالتأني – عن تملك الشبهات والسعي إلى كشفها وهذا من الأمور الهامة التي ينبغي أن نعتني بغرسها في نفوس الناشئة، وهو أن الشبهة داء ولا ينبغي التعرض للداء، وكما قال السلف منع المبادئ أولى من قطع التمادي، والشبهة فتنة وعليه يجب أن يُقنع الناشئة وغيرهم بأن لا يرخوا أسماعهم لمن يبث في نفوسهم الشبه فإن الشبهة خطافة والقلوب إن كانت ضعيفة كانت مهلكة، فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب وكم من انسان ظن في نفسه القوة والعلم فولج إلى موقع أو استمع إلى مُلبس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه بل صرعته وفعلت به الأفاعيل، ثم إنه إذا ابتُلي بها عن غير تنفير عنها، فعليه أن يلجأ إلى الله في أن يعافيه منها ثم أن يراجع على عجل أهل العلم لكشفها.

• هذا هو الحق المبين، وما سواه فتلبيس مردود يسوقه دُعاة الضلالة في جُمل براقة، تدعو إلى التنوير والانفتاح الثقافي غير المنضبط والهدف من ذلك أن يُترك الشباب نهبًا لهم فيوجهونهم إلى حيث شاءوا.

• والمنهج الشرعي الفعال في ذلك هو الحذر من الفتن والتحذير من أهلها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي السفهاء.

٧ – رعاية الشباب المبتعثين إلى أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد التي يكثر فيها ظواهر الإلحاد والعبثية، والواجب على الحكومات أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتركوا هؤلاء الشباب وهم حدثاء في أسنانهم ضعيفون في تجربتهم أن يقعوا صيدًا سهلًا لهؤلاء الملاحدة ولهذه الدعوات الهدامة، وعلى الجهات الرسمية المعنية بالدعوة والإرشاد والملحقات الثقافية واجب في توعية الشباب وتحذيرهم وأن يكونوا الصدر الواسع الذي يحتضنهم والذي تتكسر على عتباته أمواج الشك التي قد تحيط بهم، وعلى الدعاة أن لا يغيبوا عن زياراتهم في أماكنهم مع التواصل مع النوادي الطلابية ورؤسائها وأمنائها، وكذلك ينبغي أن يكون لطلبة العلم الشرعي مشاركة في المواقع المخصصة للشباب المبتعثين وملتقياتهم ومجموعاتهم البريدية، كما ينبغي تعاهدهم من وقت لآخر من خلال الجهات المعنية بالرسائل والمطويات والمنتديات التي تعالج هذا الجانب المهم.

٨ – أن تقوم الجهات المسئولة عن رعاية الشباب أو التعليم أو غيرها بتجفيف منابع الإلحاد واجتثاث أسبابه.

٩ – التواجد المستمر للهيئات العلمية للرد على الشبهات أولًا؛ لأن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس والوساوس إنما تتقاذف من خلال شياطين الإنس والجن.

وعلاج ذلك بالمناصحة الإيمانية والعقلية والسعي إلى اجتثاث هذا

الفكر بأسلوب هادئ حكيم وينبغي أن يتصدى لهذا داعية على علم عنده باع في هذا الأمر، لا جاهل يزيد الطين بلة.

١٠ - الرد على الملاحدة ونقض شبهاتهم يجب أن يوزن بميزان الذهب في التصدى والرد فالرد يجب أن يكون محكمًا قويًّا لأن الرد الضعيف في مادته أو الضعيف في أسلوبه يضر أكثر مما ينفع، وينبغي ألا يتصدى لمناظرة الملاحدة إلا مَنْ أعد العدة وأخذ للأمر أهميته وتفطن إلى مداخل الملاحدة ومغالطاتهم التي قد يباغتون بها مناظريهم.